

المطلب الأول: الأماكن الأثرية

بمكة وَحَرَمِهَا الكثير من الأماكن ذات التاريخ المشرق الحافل بالأحداث التي تركت أثراً بَيَّناً في التاريخ الإسلامي خصوصاً، وفي تاريخ الناس عموماً، وكلُّ منها سِجِلٌّ مليء بالذكريات العطرة التي استمرَّ المسلمون عبر تقلب العصور وتوالي الدهور يستلهمون من أريجها عبق النبوة، ويستحضرون روح الإسلام الحقيقي ومعاني الإيمان العميقة، وأهمّها:

1- مولد النَّبيِّ ﷺ:

هي الدار التي وُلِدَ فيها النَّبيُّ ﷺ، ويقع الآن في شرق الساحة الشرقية للمسجد الحرام من جهة الصّفا بسوق الليل⁽¹⁾، وأصل هذه الدار ملكاً لعبد الله والد النَّبيِّ ﷺ، قال الأزرقى: (سمعتُ جَدِّي ويوسف بن محمد يُثبتان أمرَ المولد وأَنَّهُ ذلك البيت لا اختلافَ فيه عند أهل مكة)⁽²⁾.

فلَمَّا هاجر النَّبيُّ ﷺ أَخَذَهُ عَقِيل بن أبي طالب ولم يزل بيده ويبدد ولده حتى اشتراه محمد بن يوسف من أحدهم، فأدخله في داره التي يُقال لها البيضاء أو «ابن يوسف»، فلم يزل ذلك البيت في الدار حتى حَجَّت الخيزران أمَّ الخليفين موسى وهارون فجعلته مسجداً يُصَلَّى فيه، وأخرجته من الدار، وأُشْرِعَتْ في الزقاق الذي في أصل تلك الدار ويقال له: زقاق المولد⁽³⁾.

وقد هُدم هذا المسجد، وبنيت في موضعه مكتبة عامة بناها الشيخ عباس قطان سنة 1370هـ-1950 من ماله الخاص، وهي في الجهة الشرقية من الساحة الشرقية للمسجد الحرام وتعلوها لوحة مكتوب عليها «مكتبة مكة المكرمة»⁽⁴⁾.

(1) حامد، ذكرى من مكة المكرمة: 117.

(2) الأزرقى، أخبار مكة: 1/199.

(3) المصدر نفسه: 1/198 بتصرف يسير.

(4) عبد الغني، تاريخ مكة: 123.



صورة لمكان ولادة النبي ﷺ حالياً

بَرَكَتُهُ

ويكفي هذا المكان شرفاً وفضلاً أنه مولد سيد الأنبياء والمرسلين صلوات ربي عليه وعليهم أجمعين، ولما كان المكان يكتسب فضيلته من المكين، فلنُعَرِّج على بعض بركات ذلك المكان:

أ- عن سليمان بن أبي مرحب مولى بني خثيم قال: حدثني ناسٌ كانوا يسكنون ذلك البيت قبل أن تشرعه الخيزران من الدار، ثم انتقلوا عنه حين جعل مسجداً، قالوا: لا والله ما أصابتنا فيه جائحة ولا حاجة، فأخرجنا منه فاشتد الزمان علينا⁽¹⁾.

ب- إنه مكانٌ مُنَوَّر: وقد ظهر لي ذلك من قوله واصفاً حال أمه عند ولادته: [أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام]⁽²⁾، ولما ثبت أن مولده في ذلك البيت، فإنه كان محلاً لذلك النور العظيم الذي بلغ شعاعه قصور الشام- تبعد آلاف الكيلومترات عن مكة كما هو معلوم- وبسبب ذلك النور حصلت تلك الكرامة للسيدة آمنة فرأت تلك القصور، كُلّ ذلك حصل في ذلك البيت المبارك.

ومن ذلك أن سيدنا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله قال: يارسول الله أريد أن أمتدحك، فقال رسول الله: قل لا يفضض الله فاك، فقال أبياتاً منها:

وأنت لما وُلدتَ أشرقَت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نَحترقُ⁽³⁾
قلت: وهل كان أول مكان لنزول ذلك النور الذي ملأ الأرض إلا في ذلك المكان المبارك.

ج- قال النقّاش: (يستجاب الدعاء في مولد النبي يوم الاثنين عند الزوال)⁽⁴⁾.
قلت: وأصل ذلك أن الدعاء عند تفتح أبواب السماء وتنزل الرحمة الإلهية مُستجابٌ عموماً، فكيف بالوقت والمكان اللذان أنزلت فيهما، وخرجت أعظم رحمة للكون، وهو سيدنا محمد؟! لا شك أن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة.
د- إنه من المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة كما ذكر الأزرقى⁽⁵⁾.

(1) الأزرقى، أخبار مكة: 2/199.

(2) الامام أحمد، المسند: 4/128 وابن حبان، الصحيح: 14/313 رقم 6404، والطبراني، المعجم الكبير: 8/175 رقم 7729، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 8/222 وقال: رواه أحمد وإسناده حسن وله شواهد تقويه.

(3) الطبراني، المصدر السابق: 4/213 رقم 4167، وصححه الحاكم. ينظر: المستدرک علی الصحیحین: 3/369 رقم 5417، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 9/218، وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(4) الفاسي، شفاء الغرام: 1/199.

(5) الأزرقى، أخبار مكة: 2/198.

هـ- إنه من الأماكن التي ينبغي على المسلم زيارتها، كما ذكر الفاسي⁽¹⁾.

2- دار السيِّدة خديجة ومولد فاطمة رضي الله عنهما:

وهو البيت الذي كان يسكنه رسول الله ﷺ وخديجة رضي الله عنها وفيه تزوج خديجة، وولدت فيه خديجة أولادها جميعاً، وفيه توفيت خديجة، فلم يزل النبي ﷺ ساكناً فيه حتى حَرَجَ إلى المدينة مهاجراً، فأخذه عقيل بن أبي طالب، ثم اشتراه منه معاوية وهو خليفة وجعله مسجداً يُصلى فيه، وبناه وحدد الحدود التي كانت لبيت خديجة لم تغير، وفتح معاوية فيه باباً من دار أبي سفيان بن حرب⁽²⁾.

وهذه الدار لم تعدْ معروفة اليوم فقد اختفت في باطن الأرض وانهاالت عليها الأنقاض، وصادف في أثناء بعض الحفريات التي أجريت حول الحرم المكي في إطار التوسعة التي تمت أن كشفت أجزاء منها، وتم التعرف عليها وتحديد بدقة من الدكتور سامي عنقاوي الذي أشرف على دراسة هذه المنطقة وعمل فيها بنفسه، وكانت هذه الدار قد ارتفع عنها الطريق في السابق حتى أصبح ينزل إليها بجملة درجات توصل إلى طرمة على يسارها مصطبة مُرتفعة عن الأرض بنحو 30 سم ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عُرضاً، وفيها مكتب يقرأ فيه الصبيان القرآن الكريم، وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه إلى طريق ضيقة عرضها نحو مترين.

وفيها ثلاثة أبواب: الأول على اليسار، لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولاً في أقل منها عرضاً، وهذا المكان كان مُعدّاً لعبادته ﷺ وفيه كان ينزل الوحي عليه، وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض يقال إنه كان محلّ وضوئه ﷺ، والباب الثاني في قبالة الداخل إلى الممر يفتح على مكان أوسع منه يبلغ طوله ستة أمتار في عرض أربعة وهو المكان الذي كان يسكنه النبي ﷺ مع زوجته خديجة رضي الله عنها أما الباب الثالث فهو عن اليمين لغرفة مستطيلة عرضها نحو

(1) الفاسي، المصدر السابق: 260/1.

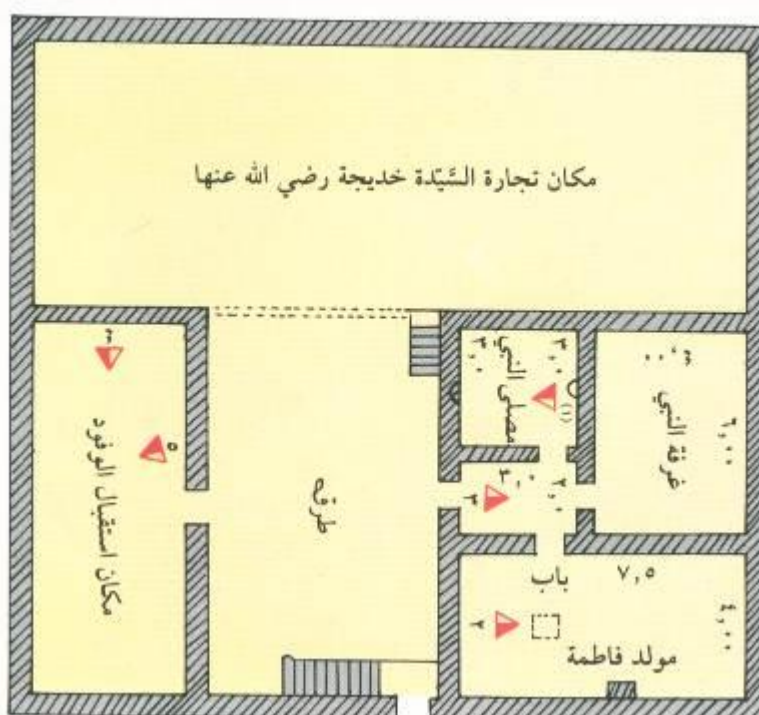
(2) الأزرق، المصدر السابق: 199/2.

أربعة أمتار في طول نحو سبعة أمتار ونصف، وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذي ولدت فيه السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وفي جدار هذه الغرفة الشرقي رف موضوع عليه قطعة من رحي قديمة يقولون إنّها من رحي السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها التي كانت تستعملها في حياتها، وعلى طول هذا المسكن والطرق الخارجية والمصطبة من جهة الشمال فضاء مُرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر متراً، وعرضه سبعة أمتار، ويُظنّ أنّه المكان الذي كانت السيدة خديجة رضي الله عنها تخزن فيه تجارتها⁽¹⁾.

(1) د. محمد عبده يمانى، إنّها فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ط1، المنار للنشر والتوزيع، دمشق، 1416هـ-1996م: ص17-18.



منظر عام لفرغات بيت السيدة خديجة رضي الله عنها



صورة لبيت أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها ومولد السيدة فاطمة رضي الله عنها وقد كشفت عنه إحدى الحفريات بمكة قبل عدة سنوات.

وقد دخلت هذه الدار في توسعة الحرم المكي في العهد السعودي.

فضلها

1- قال الفاسي: (وذكر المحب الطبري أن دار خديجة أفضل الأماكن بمكة بعد المسجد الحرام ولا شك في ذلك)⁽¹⁾، وقال ابن ظهيرة: (وكانوا يذكرون الله تعالى فيه كل ليلة ثلاثاء من العشاء حتى الصباح، وهذه الدار أفضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام، وذلك لسكنى الرسول ﷺ فيها وكثرة نزول الوحي عليه بها)⁽²⁾.

2- قال النقاش: (يستجاب الدعاء في دار خديجة بنت خويلد ليلة الجمعة)⁽³⁾.

3- وذكرها الأزرقى من المواضع التي يُستحب فيها الصلاة⁽⁴⁾.

3- دار الأرقم المخزومي:

الأرقم بن أبي الأرقم، هو صحابي من السابقين الأولين أسلم بعد ستة نفر، يُكنى أبو عبد الله، وكانت داره المذكورة على الصفا⁽⁵⁾ وقد أوقفها بعد إسلامه على المسلمين، فكان النبي ﷺ يتوارى فيه عن المشركين، ويجتمع هو وأصحابه فيه عند الأرقم بن أبي الأرقم، ويقرؤهم القرآن، ويُعلمهم فيه، وفيه أسلم عمر بن الخطاب⁽⁶⁾، وقيل: وسيدنا حمزة بن عبد المطلب وغيرهما، ومنه ظهر الإسلام، وله أيضاً فضل كثير⁽⁷⁾، وقد اشترى المهدي العباسي هذه الدار بسبعة عشر ألف درهم، ووهبها للخيزران أم الخلفيتين الهادي والرشيد⁽⁸⁾، وفي سنة 171 هـ - 787 م بنّت الخيزران مسجداً في موضع هذه الدار، على بُعد 36 م من الصفا شرقاً خارج المسعى⁽⁹⁾.

وجُدِّد بناء هذه الدار في التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي وأصبحت مقراً لبعض هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصار جزءاً منها مقراً لتعليم القرآن

(1) يمانى، إنها فاطمة الزهراء: 273/1.

(2) المالكي، محمد: في رحاب البيت الحرام: 258.

(3) الفاسي، شفاء الغرام: 199/1.

(4) الأزرقى، أخبار مكة: 199/2.

(5) ابن الجوزي، صفة الصفوة: 230/1.

(6) الأزرقى، المصدر السابق: 260/2.

(7) ابن الضياء، تاريخ مكة: 189.

(8) المصدر نفسه: 189.

(9) عبد الغني، تاريخ مكة: 125.

الكریم وتحفیظه، ثُمَّ هُدمت وأصبحت أثراً بَعْدَ عین⁽¹⁾، ثُمَّ أُدخلت فی التوسعة لصالح هذه الجهة، وقد سُمِّي أول باب فی المسعى بجوار الصفا باب دار الأرقم لقربه من موضع هذه الدار، ولعلّ موضعها الآن ممّا يلي السلام المتحركة فی هذه الجهة⁽²⁾.

فضلها

أ- ذكر الأزرقی أنّها من المواضع التي يستحب فیها الصلاة⁽³⁾.
ب- قال الفاسي: (ولعل هذا الموضع أفضل الأماكن بمكة بعد دار خديجة بنت خويلد، لكثرة مكث النبي ﷺ يدعو الناس للإسلام مستخفياً وإقامته بهذا الموضع دون إقامته بدار خديجة، ولذلك كانت أفضل من هذا الموضع)⁽⁴⁾.
قلت: ومعنى ذلك أنّ دار الأرقم يأتي فی المرتبة الثالثة من حيث الأفضلية والبركة من الأماكن فی مكة المكرمة.

ج- قال النقاش: (ويستجاب الدعاء فی دار الخيزران عند المختبى بين العشاءين)⁽⁵⁾، ومَرَّ بنا أن دار الأرقم سميت فيما بعد بدار الخيزران، والعشاءين: يعني: المغرب والعشاء.

د- قلت: وهي مكان لتنزل الرحمات، ومحلّ للسكينة والبركة ونزول الملائكة، لما روى عن أبي هريرة ؓ قال، قال رسول الله ﷺ [ما جلس قومٌ مجلساً يذكرون الله فيه، إلاّ حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده]⁽⁶⁾، وأيّ مجلسٍ أعظم بركة وأكثر نوراً ورحمة من مجلس سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الكرام ؓ؟!، فهو خيرٌ نبيٍّ، وأصحابه خير الأصحاب ومجلسه خير المجالس منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

4- مَقْبَرَةُ الْمُعَلَّاةِ

(1) المالكي، محمد، في رحاب البيت الحرام: 262-263.

(2) عبد الغني، المرجع السابق: 125.

(3) الأزرقی، أخبار مكة: 198/2-200.

(4) الفاسي، شفاء الغرام: 274/1.

(5) المصدر نفسه: 199/1.

(6) مسلم، الصحيح: 4/2074 رقم 2700، وابن حبان، الصحيح: 3/136 رقم 855.

وتقع في الجهة الشمالية من المسجد الحرام، وتسمى أيضاً بـ«مقبرة الحجون»، وهو اسم الشَّعْب الذي تقع فيه، وكان هو الشعب الوحيد الذي يستقبل وجه الكعبة كُلَّه مستقيماً⁽¹⁾، وكان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبي الوادي الذي تقع فيه المقبرة في الجاهلية وصَدَرَ الإسلام، ثُمَّ حَوَّلَ الناس جميعاً قبورهم إلى الشعب الأيسر، وهو المعروف إلى الآن باسم مقبرة المعلّاة أو الحجون عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لمقبرة مكة: [نعم المقبرة هذه]⁽²⁾

وعن ابن مسعود قال: [وقف رسول الله ﷺ على الثنية- ثنية المقبرة- وليس بها يومئذ مقبرة، قال: يبعث الله عز وجل من هذه البقعة، أو من هذا الحرم كُلَّه سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحدٍ منهم في سبعين ألفاً، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال أبو بكر: مَنْ هم يارسول الله، قال: هم الغُرَباء]⁽³⁾.

ومن فضائل هذه المقبرة أَنَّ فيها جُمْلَةً من الصحابة والتابعين والعلماء العارفين على رأسهم السيدة الكاملة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، والقاسم بن رسول الله ﷺ وغيرهم كثيرون.

وكان على قبر السيدة خديجة رضي الله عنها بناءٌ يليق بمقامها وكان المشرفون على القبر «السَّدَنَة» آل باروم⁽⁴⁾، ثُمَّ هُدِمَ ذلك البناء قبل أكثر من خمسين سنة، وأُحِيطَت المقبرة بسياج، ولها مَدْخَلٌ يَمُرُّ الزائرون منه، وللموضع الذي دُفِنَتْ فيه السيدة خديجة وبعض الصحابة، باب كبير أخضر، وهو مَقَامٌ يقصده المسلمون للزيارة والتبرُّك.

(1) الفاكهي، أخبار مكة: 50/4.

(2) عبد الرزاق، المصنف: 597/3 رقم 6734، والطبراني، المعجم الكبير: 137/11 رقم 11282، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 297/3، وقال: رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير وفيه إبراهيم بن أبي خذّاش حَدَّثَ عنه جريح وابن عيينة كما قال أبو حاتم ولم يضعفه أحد، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

(3) الفاكهي، المصدر السابق: 51/4 رقم 237، ولم أجده فيما بين يديّ من كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم.

(4) يمانى، إنَّها فاطمة الزهراء: 128.

مقبرة المعلاة بالحجون وفيها قبر أم المؤمنين السيدة خديجة



الكبرى- رضي الله عنها -

المطلب الثاني: المساجد الأثرية

بمكة وحرّمها كثيرٌ من المساجد الأثرية منها ما كان موجوداً في زمن النبي ﷺ، ومنها ما بُني فيما بعد، وأشهر تلك المساجد:

1- مسجد التنعيم:

أو مسجد أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وسمّي بالتنعيم؛ لوجود جبل نعيم على اليمين وجبل ناعم على اليسار، والوادي يُسمّى: نَعْمَان⁽¹⁾، وسمّي بمسجد السيدة عائشة رضي الله عنها لأنّه بُني في المكان الذي أحرمت منه السيدة عائشة رضي الله عنها بالعمرة في حَجَّة الوداع مع النبي ﷺ سنة 10 هـ عن عمرو بن أوس أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أخبره [أنّ النبي ﷺ أمره أن يُردفَ عائشة ويعمرها من التنعيم]⁽²⁾.

وقال ابن جريج: (رأيتُ عطاء يصف الموضع الذي اعتمرت منه عائشة رضي الله عنها قال: وأشار إلى الموضع الذي ابتنى فيه محمد بن علي الشافعي المسجد)⁽³⁾.
ويسمى أيضاً مسجد العمرة لأنّه أقرب موضع لحدّ الحرم من جهة الشمال الغربي ولذلك يأتي كثير من الحجاج والمعتمرين الذين يمكثون بمكة إلى مسجد التنعيم للإحرام بعمرة جديدة بعد عمرتهم التي انتهوا منها⁽⁴⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان: 49/2.

(2) البخاري، الصحيح: 632/2 رقم 1692.

(3) الأزرق، أخبار مكة: 209/2.

(4) حامد، ذكرى من مكة المكرمة: 106.

وورد أنّ عطاء بن أبي رباح ومجاهداً وعبد الله بن كثير الداري وناساً من علماء التابعين إذا كانت ليلة السابع والعشرين من رمضان من كل عام اعتمروا من التنعيم⁽¹⁾.

وأُعيد بناء مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها في عهد الملك فهد - رحمه الله - على مساحة 84000م² تشمل المرافق التابعة له بتكلفة 1000000000 ريالاً - مائة مليون ريالاً سعودياً - أمّا مساحة المسجد فهي 6000م²، ويستوعب نحو 150000 مصل⁽²⁾.

2- مَسْجِدُ الْخَيْفِ:

ويقع في الجهة الجنوبية من منى، على يمين القادم من مكة، وعلى يسار القادم من عرفات⁽³⁾، وقد ضرب النبي ﷺ خيمته في ذلك المكان من منى، وقد كان في صحن هذا المسجد بالقرب من جداره الشرقي قُبَّةٌ عظيمةٌ أُقيمت فوق ثمانية عقود، وهي في موضع الخيمة التي أُقيمت للنبي ﷺ في حَجَّةِ الْوَادِعِ، والتي صلى فيها الأوقات الخمسة من ظهر يوم التروية إلى فجر يوم عرفة⁽⁴⁾.

والخَيْفُ في الأصل: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء أو هو المكان الذي يقع بين جبلين⁽⁵⁾، وهذه هي صفة ذلك المكان قديماً.

وقد حظي مسجد الخيف بعناية السلاطين والملوك عبر العصور، وتمت توسعته وعمارته في سنة 1407هـ - 1987م بتكلفة 90 مليون ريالاً، وبه أربع مآذن، وهو مُكَيَّفٌ بـ (410) وحدة تكييف، كما يُسَاعِدُ على تلطيف الهواء فيه (1100) مروحة، ويليه مجمع دورات المياه ويوجد به أكثر من ألف دورة مياه، وثلاثة آلاف صنوبر للوضوء⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الأزرق، المصدر السابق: 208/2.

(2) عبد الغني، تاريخ مكة: 18.

(3) المالكي، محمد، في رحاب البيت الحرام: 300.

(4) المرجع نفسه: 300.

(5) عبد الغني، المرجع السابق: 104.

(6) المرجع نفسه: 109.

فَضْلُهُ

وردت بعض الأحاديث في فضل مسجد الخيف وبركته ذكرها العلماء ونورد منها ما اشتهر:

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: [صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً، منهم موسى، كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان على بعير أحمر]⁽¹⁾، ويظهر لي من هذا الحديث معنيان:

- أحدهما: ينبغي على المسلم أن يتحرى المواطن المباركة لاسيما التي صلى فيها الأنبياء عليهم السلام، فيصلي فيها لأنها ستكون ذات فضل ومزية على غيرها، وإن كانت مساجد فهي أفضل من عموم المساجد، ويدلنا على هذا المعنى أنّ النبي ﷺ ذكر لأصحابه أنّ الأنبياء صلّوا فيه، بعد أن صلى هو فيه ﷺ، ولو لم يكن لذلك الأمر مزية لما ذكره النبي ﷺ، فيكون في الحديث حثٌّ ضمني على تتبع آثار الأنبياء والصالحين.

- الآخر: لما نُدب للمسلم تحري مواطن صلاة الأنبياء عموماً، فهو من باب أولى للنبي محمد ﷺ؛ لأنّه سيّد الأنبياء فينبغي على المسلمين تحري مواطن صلاته، وتجب المحافظة على آثاره، ومنها المواطن التي صلى فيها، ولكن النبي ﷺ لم يُصرّح بلزوم تتبع آثاره هو تواضعاً منه، فترك هذا الأمر لأُمَّته كي يفهموه من القرائن.

ب- قال رسول الله ﷺ: [في مسجد الخيف قُبِرَ سَبْعُونَ نَبِيّاً]⁽²⁾.

ج- قال يزيد بن الأسود: [شهدتُ مع النبي ﷺ حَجَّتَهُ، فصليتُ معه صلاة الصُّبْح في مسجد الخيف]⁽³⁾، وبذلك تكون الصلاة في مسجد الخيف سنّة، وتزداد بركته أضعافاً مضاعفة لأنّ النبي ﷺ صلى فيه.

(1) الطبراني، المعجم الأوسط: 312/5، والكبير: 453/11، والمنذري، الترغيب والترهيب: 117/2، وقال: رواه

الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(2) الهيثمي، مجمع الزوائد: 297/3، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(3) الترمذي، الجامع الصحيح: 425/1، وقال: حديث حسن صحيح، وابن

حبان، الصحيح: 434/4، والدارقطني، السنن: 413/1، والبيهقي، السنن الكبرى: 301/2، رقم 3460.

د- عن عطاء قال: سمعتُ أبا هريرة ع يقول: (لو كنتُ من أهل مكة لأتيت مسجد مني كُلَّ سبت) (1).

ه- عدّه النقّاش من الأماكن التي يُستجاب فيها الدعاء (2).

3- مَسْجِدُ الرَّايَةِ:

ويقع بأعلى مكة عند الردم عند بير جبير بن مطعم قديماً (3)، ويعرف الآن بمسجد الجودريّة، وموقعه بين شارع الغزّة والجودرية أمام عمارات الجفالي (4).

وسمّي بمسجد الراية لأنّ رايّة النبي ع عُزّزت في موضعه يوم الفتح (5)، وأوّل مَنْ بناه عبدُ الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (6).

وقد جُدّد بناء هذا المسجد سنة 1361هـ، فعند حفر أساسه عثروا على حجرين مكتوبين يدلّان على أنّ هذا المسجد هو مسجد الراية أحدهما مؤرّخ سنة 898هـ، وثانيهما مؤرّخ سنة 1000هـ وقد ثبتّ الحجران على جداره (7).

وبيعد هذا المسجد الآن نحو 550م من الكعبة المشرفة بخط مستقيم وقد جُدّد بناؤه في عهد الملك فهد رحمه الله (8).

فضيلته

أ- ومن فضيلته أنّ النبي ع لما شرع بفتح مكة أمر سيدنا الزبير بن العوام ع أن يركز رايته في موضعه بأعلى الحجون (9).

ب- إنّ النبي ع صلّى فيه (10).

4- مَسْجِدُ نَمْرَةٍ:

(1) الفلكهي، أخبار مكة: 267/4 رقم 2595.

(2) الفاسي، شفاء الغرام: 199/1.

(3) الأزرق، أخبار مكة: 200/2.

(4) حامد، نكرى من مكة المكرمة: 103.

(5) المالكي، محمد، في رحاب البيت الحرام: 274.

(6) الأزرق، المصدر السابق: 200/2.

(7) المالكي، المرجع السابق: 274.

(8) ينظر: عبد الغني، تاريخ مكة: 136.

(9) تنظر التفاصيل: البخاري، الصحيح: 560/2 رقم 1470، و 1086/3 رقم 2813.

(10) الأزرق، أخبار مكة: 200/2.

وغرة: جُبَيْل صغير بوادي عُرَّة، نزل النبي ﷺ في خيمةٍ عليه، ويسمى أيضاً مسجد إبراهيم، وكان على يمين الموقف⁽¹⁾.

وقد بُني هذا المسجد في موضع حُطبة النبي ﷺ وصلاته ببطن وادي عُرَّة في أول عهد الخلافة العباسية في منتصف القرن الثاني الهجري، وبطن الوادي ليس من عرفة، وبعد توسعات المسجد التي تمت على مرّ التاريخ صارت مقدمة المسجد خارج عرفات، ومؤخراً المسجد في عرفات، وهناك لوحات إرشادية تشير إلى ذلك، فعلى الحاج أن ينتقل داخل حدود عرفة بعد أداء صلاة الظهر والعصر، فمن وقف في مقدمة المسجد إلى غروب الشمس وتحرك منها إلى المزدلفة لا يصحّ له وقوف عرفة، ويقع المسجد على الحدود الغربية لعرفات عند تقاطع خط عرض 00°، 21°، 21° شمالاً وخط طول 03°، 58°، 39° شرقاً، وقد تمت عمارته وتوسعته في العهد السعودي بتكلفة 237000000 ريالاً، ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب 340م، وعرضه من الشمال إلى الجنوب 240م، وتبلغ مساحته أكثر من 110,000م²، منها نحو 28,800م² للجزء الخلفي المبني بدورين بطول 120م، ويوجد خلف المسجد مساحة مظللة قدرها 8000م²، ويستوعب المسجد نحو 350000 مصل، وله ست مآذن ارتفاع كل منها 60م، وثلاث قباب، وعشرة مداخل رئيسية تحتوي على 64 باباً، وهو مكيف بـ 663 وحدة تكييف، وبه غرفة للإذاعة الخارجية مجهزة لنقل الشعارات بالأقمار الصناعية إلى أنحاء العالم، ويليه أكثر من ألف دورة مياه و 15000 صنوبر للوضوء، وخزانان علويان للمياه سعة كل منهما 4500م³ (2).

ويقال أنّ هذا المسجد هو موضع صلاة النبي ﷺ.

وهناك كثير من المساجد التي لم نتعرّض لها، وإنّما اكتفينا ببعضها، ففيها المقصود، وإنّما أردنا بيان عناية هذه الأمة سلفاً وخلفاً بآثار نبيّها ﷺ.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 202/2، وحامد، ذكرى من مكة المكرمة: 68.

(2) عبد الغني، تاريخ مكة: 117-118.

المطلب الثالث: العناية بالأماكن الأثرية في منظور الشريعة الإسلامية أولاً: مزية المساجد الأثرية

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه المساجد لا تنفرد بمزية عن سائر مساجد الأرض من ناحية الأجر، فإنّ المساجد التي يُضاعف فيها الأجر هي التي وُرد فيها نصٌّ عن حضرة النبي ﷺ، وهي التي سَمّاها وبين مقدار أجرها بقوله: [صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام]⁽¹⁾، وقوله: [فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمس مائة صلاة]⁽²⁾، إذن: فما هي مزية الصلاة في تلك المساجد؟ مزيّتها أنّها تشرّفت بأقدام الحبيب محمد ﷺ، وحظيت بأنواره، وبركته، وبركات صلاته، ورحمات دعواته، والرحمة الإلهية إذا هطلت على مكانٍ ما فإنّ أثرها يبقى إلى يوم القيامة، وكذلك آثار الغضب تبقى إلى يوم القيامة إذا ما نزلت بأرضٍ، وأمثلة ذلك كثيرة، فحين مرّ النبي ﷺ بديار صالح أرشد أصحابه أن لا يستقوا من مائها، وأمرهم أن يسرعوا لأنّه خشي عليهم أن يصيبهم ما أصاب القوم الظالمين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما مرّ النبي ﷺ بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلّا أن تكونوا باكين، ثمّ قنّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي]⁽³⁾.

قلت: وقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن الدخول إلى تلك الأماكن لأنّ آثار السخط الإلهي موجودة باقية فيه، فخشي عليهم أن تصيبهم ظلمة ذلك المكان وإنّما اشترط على من أراد المرور على تلك الأماكن أن يمرّ باكياً؛ لأنّ البكاء من الرحمة وسبب لتنزّلها وبذلك ينجو المار على تلك الديار من تلك الظلمة الباقية من سخط الملك

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) البخاري، الصحيح: 4/1609 رقم 4157.

الجبار، ويترتب على ذلك أن يحرص المسلم على المكوث في أماكن الرحمة الإلهية كي تصيبه نفعاتها.

ثانياً: لماذا بُنيت تلك المساجد والمشاهد الأثرية؟

1- لقد اعتنى علماء المسلمين وأمرأؤهم وعامتهم بآثار النبي ﷺ عناية كبيرة، لكي تبقى شاخصاً تشهدا الأجيال الإسلامية جيلاً بعد جيل، يُعرّف السابق اللاحق فضلها ويرشده إلى معالمها، وليس من الصواب أن نعني ببعضها ونهمل بعضها الآخر بل الواجب أن نعني بكل أثر لرسول الله ﷺ، كالمكان الذي صلى فيه، والموضع الذي دعا فيه ربه وناجاه، والبقعة التي حلّ فيها، والحل الذي جلس فيه أو عمل فيه عملاً، والطريق الذي مر فيه فتعطر من أنفاسه الكريمة.

فإن قيل: وهل هناك أدلة تثبت شرعية العناية بتلك الآثار؟

قلت: الأدلة في ذلك كثيرة جداً، وقد ظهرت لي أدلة ذلك من الكتاب والسنة وبيان ذلك فيما يأتي:-

أ- من الكتاب: قال تعالى {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى} (1)، فإذا أمرنا الله سبحانه أن نحترم المكان الذي قام فيه سيدنا إبراهيم ﷺ فكيف بالمكان الذي يقوم فيه سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ؟! بلا شك أن بركته أعظم ومنزلته أكبر إذ المكان بالملكين، ثم إن الله تعالى قد تكفل لنا سبحانه عبر آلاف السنين بحفظ صخرة وقف عليها سيدنا إبراهيم ﷺ، ألا نفهم من ذلك أننا يجب أن نحافظ على أثر سيدنا محمد ﷺ؟! بلى إنني أفهم من تلك الحادثة وجوب المحافظة على آثاره ﷺ، والعناية بها، فقد تكفل الله بحفظ أثر سيدنا إبراهيم ﷺ لأن أتباعه انقضوا، وأما آثار سيدنا محمد ﷺ فإن الله سبحانه أوكل تلك المهمة إلى أمته كي يحافظوا عليها، فإن قصروا أثموا، وإن وقّوا رجحوا، وإن في اتخاذهم لها مساجد أجراً، كاتخاذهم لمقام إبراهيم ﷺ، وإن الله تعالى قد أمرنا باتخاذ مقام إبراهيم مصلًى ليربطنا روحياً وجسدياً بآثار الأنبياء ومن زعم أن العناية بآثار النبي

(1) سورة البقرة، من الآية: 125.

محمد وذريعة للشرك، فليتأمل الآية السابقة ولينتبه إلى أنه حين يُصلي خلف المقام فإنه يجعل أمامه حجراً، فهل يصح أن نقول إنَّ عمله هذا شرك؟، قطعاً لا، لأنه لم يقصد الحجر، وإنما قصد الله بالعبادة، ونفّذ أمره بالصلاة إليه.

كما تبين لي من هذه الآية أنَّ المكان الذي تحدث فيه معجزة لنبي يكون مباركاً؛ لأنَّ الصخرة التي قام عليها سيدنا إبراهيم ٥ -مقام إبراهيم- حدثت فيها معجزة وهي غوص قدميه عليه السلام، وارتفاعها معه كُلَّما ارتفع البناء، ودورانها معه حول البيت، فأصبحت مباركة، وإذا ثبت ذلك فالمواضع التي تحدث فيها معجزة ما لسيدنا محمد ٥ أعظم بركة، والعناية بها والحفاظ عليها من باب أولى.

ثم انظر كيف جعل سبحانه من آثار الأنبياء محلاً للسكينة وسبباً لتنزُّها، بل للنصر المبين حين قال سبحانه {وقال لهم نبيهم إنَّ آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية ممَّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين} (1)، قيل: أراد أن التابوت كان سبب سكون قلوبهم، فأينما كانوا سكنوا إليه ولم يفرّوا من التابوت إذا كان معهم في الحرب (2).

وبذلك يكون الحفاظ على آثار الأنبياء من أسباب النصر.

ب: من السُّنة:

والأدلة من السُّنة تُصرِّح بإجازة النبي ٥ لأصحابه أن يتخذوا من المكان الذي صلى فيه مسجداً، عن محمود بن الربيع الأنصاري [أنَّ عتبان بن مالك كان يؤمَّ قومه وهو أعمى وأنه قال: يارسول الله إنها تكون الظُّلَّة والسيِّل وأنا رجل ضير البصر، فصَلَّ يارسول الله في بيتي مكاناً أتخذه مُصَلِّي فجاءه رسول الله ٥، فقال: أين تحب أن أصلي؟ فأشار إلى مكان من البيت فصلَّى فيه رسول الله ٥] (3)، قال ابن حجر عن هذا الحديث: (هو حُجَّة في التبرُّك بآثار الصالحين) (4)، وقال ابن عبد

(1) سورة البقرة، آية: 248.

(2) القرطبي، تفسير: 162/3.

(3) البخاري، الصحيح: 1/237 رقم 636، و1/243 رقم 654.

(4) ابن حجر، فتح الباري: 1/569.

البر: (وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ ووطئها، وقام عليها)⁽¹⁾، قلت: بل فيه تصريح باتخاذ الموضع الذي يُصلي فيه النبي ﷺ مسجداً، وإن له مزيةً على غيره، ولو لم يكن كذلك لما أقرّ النبي ﷺ ذلك، ولما صلى في ذلك المكان.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: [إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْأَخَشْبِينَ مِنْ مَنَى - وَنَفَخَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ - فَإِنَّ هُنَاكَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ السَّرِيَّةُ - فِي حَدِيثٍ يُقَالُ لَهُ سَرْحَةٌ - سُرَّ تَحْتَهَا سَبْعُونَ نَبِيًّا]⁽²⁾، قال ابن عبد البر: (وفي هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم)⁽³⁾، قلت: فإذا ثبت من ذلك التبرك بمواضع الأنبياء فالتبرك بآثار النبي ﷺ كموضع مولده الشريف من باب أولى وأؤكد.

وعن موسى بن عقبة قال: [رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَتَحَرَّى أَمَاكِنَ مِنَ الطَّرِيقِ فَيُصَلِّي فِيهَا وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُصَلِّي فِيهَا، وَأَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَمْكَنَةِ قَالَ مُوسَى: وَحَدَّثَنِي رَافِعُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَمْكَنَةِ]⁽⁴⁾، وبذلك يظهر لنا حرص الصحابة الكرام ﷺ على كُلِّ موضعٍ صلى فيه النبي ﷺ ولو لمرة واحدة، وتحريهم الصلاة فيه.

وبعدما قدّمناه فإننا نوجز أسباب حرصنا على العناية بتلك الآثار في النقاط

التالية:

أ- المحافظة عليها كشاهد حي لتاريخ حافل يتعرف عليه المسلمون.

ب- للصلاة فيها.

(1) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف

والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ: ج 6/ص 228.

(2) البيهقي، السنن الكبرى: 417/2 رقم 3986.

(3) ابن عبد البر، التمهيد: 67/13.

(4) البخاري، الصحيح: 183/1 رقم 469.

ج- لاقتفاء آثار النبي ﷺ، وهكذا كان الصحابة يفعلون حتى إنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان ينزل في كل موضع نزل به النبي ﷺ [فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فكان ابن عمر يجيء بالماء فيصبه في أصل السمرة كي لا تيبس]⁽¹⁾.

د- للتبرّك بها.

هـ- وأضيف إلى ذلك: وللتعرض للنفحات الإلهية وتنسّمها في تلك الأمكنة، فإنّ المكان الذي يحلّ به ﷺ، والطريق الذي يمرّ منه وهو رحمة الله المهداة*، فإنّ الرحمت الإلهية تمّطل عليه وتبقى هطّالةً إلى يوم القيامة، ولمعرفة الصحابة ﷺ ومن بعدهم بأنّ النبي ﷺ محطّ نظر الله عز وجل أينما حلّ وارتحل، وإنّ كل موضع أو أثر له هو محلّ لتنزل رحمت الله، فقد اجتهدوا في التعرض إلى تلك الرحمت وحرصوا على تنسّم تلك النفحات التي لا تزول ولا تنقطع بل لا تزال رطبة ندية، غَضَّةً طرية إلى يوم القيامة.

و- إنّ الأمم التي تُحافظ على آثارها، هي الأمم التي تحترم ماضيها، ونحن المسلمون إسلامنا هو ماضيها وهو حاضرنا وفيه مستقبلنا المشرق، فينبغي أن نحافظ على الآثار الإسلامية، ورحم الله السيد محمد حسين هيكّل إذ يقول: أسألك نفسي: لو أنّ داراً في الغرب حوت من الذكريات الخالدة ما حوتُهُ دارٌ خديجة رضي الله عنها وأراد رجالُ الفن هُناك أن يقيموا لهذه الذكريات رَمَزا، فماذا عساهم يصنعون؟، فهي قد حوت ذكريات نفسية وروحية وعقلية لم تحوِ مثلها دارٌ غيرها، في هذه الدار وقفت خديجة رضي الله عنها ترقبُ في عِلِّيَّة عودِ سيدنا محمد ﷺ بتجارقتها من الشام... وفي هذه الدار عرف سيدنا محمد ﷺ اليُسْرَ بعد العُسْر، وَرَخَاءَ العيش بعد شِدَّتِهِ، وفيها أنجب أبناءه من خديجة، فكان الوفاء لزوجهِ والبرُّ بأبنائه، وكان في ذلك أُسوةً ومثلاً... وإليها رجع من حراء بعد الوحي الأول... فوجد في خديجة الزوجَ الوفيّة البارة العطوف، وفيها انقطع إلى ربّه يعبدُه ويدعوهُ... وفيها نزل عليه الوحي بَعْدَ فتوره... إنّ في كلّ واحدة

(1) ابن حبان، الصحيح: 551/15 رقم 7074.

(*) قال تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (سورة الأنبياء، آية: 107).

من هذه الذكريات الباقية على الدهر، بقاء الدهر ما يُلهِمُ رَبَّ الفن أسمى صُور الفن وألوانه، لكنّها إذ تتداعى جميعاً إلى نفسه تذرّه في حيرة لا يجد وسيلة إلى صورة أو معنى مستقلّ بذاته يُجسِّمها جميعاً، ويطلع في النفس أثراً باقياً بقاءها⁽¹⁾.

ثالثاً: العناية بالآثار والمشاهد بين الواقع والطموح

حرصت الحكومة السعودية على العناية بكثير من الآثار فجعلت لها دائرة خاصة تعني وتهتم بها تُسمّى «دائرة الآثار» وأصدرت لها نظاماً خاصاً معتمداً بالمرسوم الملكي رقم: م/26، وتاريخ 1396/2/3هـ، وأنشأت مجلساً خاصاً للنظر فيما يتعلق بهذا الموضوع يُسمّى «المجلس الأعلى للآثار» وصدر قرار مجلس الوزارة رقم 235، بتاريخ 1398/2/21هـ، بتكوين أعضائه برئاسة وزير المعارف، وعُضوية مندوبين عن الداخلية والمالية والحج والأوقاف والإعلام والآثار، وبين النظام أنّ الهدف من إنشاء المجلس الأعلى للآثار هو تجميع أكبر قدر من الخبرات لضمان وصول دائرة الآثار إلى غايتها المرجوة، فقد جاء في المادة (6) من النظام: تتولى دائرة الآثار بالتعاون مع الأجهزة الأخرى في الدولة - كلٌّ في اختصاصه - المحافظة على الآثار والمواقع الأثرية، كما تتولى أثرية الأشياء والمباني التاريخية والمواقع وما يجب تسجيله من آثار، ويعني تسجيل كل أثر أقرت الدولة بأهميته التاريخية أو الفنية وعملها على صيانتها ودراستها وإظهاره بالمظهر اللائق وفقاً لأحكام هذا النظام⁽²⁾.

قلت: وعلى أرض الواقع فإنّ الحكومة السعودية بذلت جهوداً عظيمة في المحافظة على كثير من الآثار، وأنفقت عليها أموالاً طائلة حتى أظهرتها بأبهى صورة وأجمل حُلّة، وليس ذلك الأمر بحاجة إلى دليل؛ لأنّ شواهدنا قائمة في أنحاء مكّة، ولكنّ ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الكثير من تلك الآثار مازالت العناية به دون الطمّوح المرجوّ له، لذا فإنني أقترح ما يأتي:-

(1) هيكّل، في منزل الوحي: 223-224.

(2) المالكي، محمد بن علوي مفاهيم يجب أن تصحح: 10، -دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دبي، 1415هـ-1995م: ص308.

- 1- كل أثر أو مشهد يُبنى على أنه أثر مستقل ولا تبني في محله بناية مدرسة أو مكتبة فإن ذلك حجب للأثر عن الناس، وصرف لهم عنه.
- 2- وضع العلامات على كل أثر، ففي المقابر، تُعلّم القبور كي يميز الزائر بينها، وفي المواليد توضع علامات مُحَدَّدة تشير إلى محل ولادة صاحب الأثر، وفي الدور، تُحدّد الغرف وعمل كُلٍّ منها.
- 3- هناك مواضع نزلت فيها آيات من القرآن الكريم فها حبذا لو وُضعت لها علامات ولوحات تشير إلى الموضع وإلى نص الآية التي نزلت فيه.
- 4- تستعين المملكة بمجموعة من المرشدين السياحيين ممن يجيدون على الأقل لغتين ما سوى العربية كالانجليزية والشرقية على أن يدخلوا دورات يتعرفوا من خلالها على المناقب التفصيلية لكل موضع، ثم يعملون كمرشدين سياحيين في تلك الأماكن يعلمون الناس مزية تلك الأماكن، ويمنعونهم من الإساءة لها.
- 5- إصدار دليل سياحي خاص بتلك الأماكن مزود بالصور والخرائط.
- 6- لآمانع بأن تضع الدولة صندوقاً خاصاً بكل أثر لمن أراد أن يتبرّع بمبلغ نقدي يسهم في تطوير الأثر المخصوص.